مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٩) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (9) 2026

خصائص الحجاج الحكائيّ في الشّعر الجاهليّ

***أ .د. مصطفى حدّاد**
****د . محمّد يونس**
***** حيّان شحادة**

(تاريخ الإيداع ١/٢٢ /٢٠٢٦. قُبِل للنشر في ٤/٢٣ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

يدرس البحث أهمّ خصائص الحجاج الحكائيّ في الشّعر الجاهليّ, الّتي تجعل من النّص الشعريّ نصّاً حجاجيّاً من خلال المواءمة بين وظيفتي السرد والحجاج , وتظهر هذه الخصائص في النّصّ وحدة متكاملة وفق تسلسل دقيق وخاصّ تسهم في بناء إستراتيجيّة الشّاعر الإقناعيّة الّتي تجعل من النّصّ نصّا إقناعيّا موجّها يشكّل العنصر الحكائيّ فيه الدّور الأهمّ في توجيه تلك الإستراتيجيّة الإقناعيّة, فهو من يقود الحجاج ويضفي عليه شرعيّته.

ويبيّن البحث مدى قدرة اتّكاء الشّاعر على التّراث لإقامة الحجّة واستدعاء الماضي بما يحمله من طاقة دلاليّة وحجاجيّة تواجه المتلقّي وتجبره على الإذعان والتّسليم.

الكلمات المفتاحيّة: الحجاج الحكائيّ, القياس.

---

*أستاذ في قسم اللغة العربيّة في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة اللاذقيّة, سورية.
** مدرس في قسم اللغة العربيّة في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة اللاذقيّة , سورية .
*** طالب دكتوراه (الدراسات الأدبيّة), كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة, جامعة اللاذقية, سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٩) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (9) 2026

Characteristics of Narrative Argumentation in Pre-Islamic Poetrey

*** Prof. Dr. Mustafa Haddad**
**** Dr. Mohammed Younes**
***** Hayyan Shehadeh**

(Received 22/1 /2026. 23 /4/2026)

□ ABSTRACT□

This statement studies the most signicant features of narrative argument in pre – Islamic poetry which make the poetic text an argumentative one through matching between narration and argument. These characteristics are reflected in the nature of the poetic text and are manifested in the poet's strategy of constructing argumentation that render his text more cohesive. These strategies become evident through the poet's skillful use of the narrative element, which plays a pivotal role in directing the communicative act, imbuing it with persuasive force.

The study demonstrates the poet's ability to mobilize these persuasive strategies in forming his argumentative stance, drawing upon inherited narrative traditions and recalling the past with all the potential it carries for establishing proof. Through this, the poet confronts the recipient with an informed, authoritative message capable of compelling acknowledgement and accetptance.

Keywords: narrative argumentation, persuasion.

*Professor in the Department of Arabic Language at the Faculty of Arts and Humanities, Lattakia University, Syria.
** Techer in the Department of Arabic Language at the Faculty of Arts and Humanities, Lattakia University, Syria.
*** Master's Student (Arabic Studies), Faculty of Arts and Humanities, Lattkia University, Syria.

مقدّمة البحث:

شكّل الموروث الحكائيّ في العصر الجاهليّ مصدراً مهمّاً من مصادر الإلهام الشّعريّ, ومنطلقاً ومتّكأً للحجاج والإقناع بسبب تنوّع هذا الموروث وتعدّد إمكانيّاته, فقد استلهم الشّعراء الجاهليّون – على اختلاف مذاهبهم – الطّاقة الدّلاليّة لهذا الموروث بهدف التّأثير في المتلقّي وحمله على تبنّي مواقفهم, وهذا كلّه كان متوقّفا على موهبة الشّاعر وقدرته على تطويع الحكاية وجعلها شعرا يؤثّر في المتلقّي, فالحجاج الحكائيّ يقوم أساساً على العنصر الحكائيّ, ولإثبات صحة مراده يعمد الشاعر إلى استحضار الحكاية من التّراث وإقامة الحجّة, وهذا يفرض عليه أن يكون ملمّاً بحكايا التّراث وأن يأخذ منها ما يدعم وجهة نظره عن طريق علاقة الشّبه التي يقيمها الشّاعر بين الحالتين الحالة الرّاهنة والحالة الماضية, ومتى سلّم المتلقّي بالحالة الماضية فإنّه يسلّم بالحالة الرّاهنة.

هدف البحث:

- بيان الصّلة الوثيقة القائمة بين الشّعر الجاهليّ والحجاج من جهة, وبين الحجاج والموروث الحكائيّ الجاهليّ من جهة أخرى.
- الكشف عن الحركة الحجاجيّة الحكائيّة داخل النّصّ الشّعريّ, وتتبع أهمّ خصائصه وآليّاته التي جعلت منه نصّا حجاجيّا إقناعيّا.
- الكشف عن بعض الجوانب الغامضة في الشّعر الجاهليّ, وما يحيط به من مرويّات وأخبار, وكشف بعض جوانبه الفنّيّة.

أهمّيّة البحث:

تكمن أهمّيّة البحث في مقاربة النّصّ الشّعريّ الجاهليّ مقاربة حجاجيّة تكشف عن إستراتيجيّات الإقناع الكامنة فيه, وما يحويه من إشارات وأبعاد تفاعليّة تؤسّس بواسطة اللغة وأنظمتها فضاءات جديدة تحيط بالمتلقّي وتؤثّر فيه, فقصيدة السّرد من هذا المنطلق الحجاجيّ لن تتوقّف عند استلهام الموروث الحكائيّ, وإنّما تجعل له دوراً مهمّاً في بناء الحكاية وتطويرها.

الدّراسات السّابقة:

لم يقف البحث على دراسة مخصّصة لدراسة الحجاج الحكائيّ في الشّعرالجاهليّ على الرّغم من وجود العديد من الدّراسات المتعلّقة بالحجاج في الشّعر الجاهليّ, ومن أهمّ الدّراسات الّتي أفاد منها البحث: دراسة بعنوان (الحجاج في الشّعر العربيّ, بنيته وأساليبه) لسامية الدّريدي, وفيه توظيف لما تقدمه نظرية الحجاج في اللغة من آليات في دراسة الشّعر العربي القديم والظفر بالمعنى الحجاجي القائم فيه, ودراسة أخرى بعنوان (إستراتيجيّات الخطاب, ممقاربة لغويّة تداوليّة) لعبد الهادي بن ظافر الشّهريّ,ويبيّن فيه كيفية استخدام المتكلّم لخطط وتقنيات لغويّة وسياقيّة للتأثير في المتلقي , ويربط الكتاب بين إنتاج الخطاب والسّياق الاجتماعي وكذلك دراسية أخرى بعنوان (عندما نتواصل نغيّر, مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليّات التّواصل والحجاج) لعبد السّلام عشير.الّذي يقدّم مقاربة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج، مؤكّداً أنّ الحجاج ليس معطى ثابتاً بل هو عمليّة ديناميكيّة تبنى تدريجيّاً عبر التكيّف المستمر لعناصرها , وسيحاول البحث إضاءة الجانب الحكائي في الحجاج متتبعاً أهم خصائص الحجاج الحكائي , و آلياته الّتي جعلت منه نصّاً حجاجيّاً إقناعيّاً .

منهج البحث:

اعتمد البحث القراءة التّداوليّة للنّصوص الّتي تركز على فهم المعنى من خلال استعمال اللغة في سياقها وليس في بنيتها فحسب ,وتركز على قصدية المتكلّم والسياق الموقفي و أفعال الكلام , مما يجعل من النّص فضاءً مفتوحاً فهي تمنح من علم الاجتماع وعلم النّفس وعلم الاتّصال, وتهتمّ بالمتكلّم ومقاصده بوصفه عنصراً فاعلاً في عمليّة التّواصل, وتمنح أهمّيّة للظّروف السّياقيّة في سبيل الوصول إلى المقاصد, وستساعد هذه القراءة على تحليل مضمون النّصوص الشّعريّة والوقوف على بنية الحجاج الحكائيّ وآلياته وتوجّهاته وأساليب الشّعراء ومقاصدهم المعلنة وغير المعلنة.

١- المفارقة:

تعدُّ المفارقة من أهمّ خصائص الحجاج الحكائيّ , فحين يتمّ استدعاء المشترك الحكائيّ في الحجاج , ترتسم المفارقة على مستويات عديدة منها : الحدث والزّمن واللّغة والشخصيات , والمفارقة ((تناقض ظاهري لا نلبث أن نتبين حقيقتهُ)) (١) من خلال الوقوف على تأويل النّص واستخلاص المغزى الحكائيّ منه , وهي تمثل ((رفضاً للمعنى الحرفي للكلام ,لصالح المعنى الآخر, أو بالأحرى المعنى الضّد الذي لم يعبّر عنه)) (٢) .

تتسم المفارقة جوهرياً في النّص الحكائي بعدم الإدراك , ويمكن جعلها قابلة للإدراك من خلال التحليل والاستنتاج الّذي يحثّ عليه النّص الحجاجيّ , فينفتح على الكثير من الاحتمالات بالنسبة إلى المتلقي , وهي تعتمد بالدرجة الأولى على قدرة المتلقي على التفاعل مع النّص وإدراكه , فالشاعر يستخدم المفارقة بوصفها وسيلة للخروج من الموقف وتبليغ الرسالة إلى المتلقّي و إقناعه بما يريد من خلال إثارة انتباههِ وتحفيزه على الاستنباط والتفكير. وهي في النّص الحكائيّ تشتمل على طرف تراثي راسخ في الذاكرة الجماعيّة وطرف حاضر يمثل زمن الشاعر المتكلم .

((ومن الممكن أن يستغرق الكاتب في عالم أسطوري رحب بحيث يبدو أنّه منفصل كليّة عن الواقع , وفي هذه الحالة لا تكون المفارقة مجرّد حيل لفظيّة بل يحتشد فيها رصيد هائل من الفكر)) (٣) .

والمتلقي في تأويله المفارقة عليه أن يستنطق النّص ويستوعب دلالتهُ .

ويعتمد الشّاعر في صنع المفارقة على مخزونه الفكري وأسلوبه في صياغتها فهي تحقق الخروج من النّص الأصلي إلى نص آخر من أجل إحداث أثر بليغ في المتلقّي , فهي تعمل على ((مستويين دلاليين متلازمين لا يلغي أحدهما الآخر)) (٤) , وتوفر قدراً كبيراً من الاختزال والتكثيف لإثارة انتباه المتلقّي وإقناعه .

---

(١) علوش, سعيد,معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة, دار الكتاب اللبناني, بيروت, ط١, ١٩٨٥, ص١٦٢

(٢) ابراهيم, نبيلة, المفارقة, مجلة فصول, م٧, عدد٣-٤ , ١ سبتمبر ,١٩٨٧م, صـ١٣٣

(٣) المرجع نفسه , صـ١٣٩

(٤) قاسم , سيزا , القصّ العربي المعاصر , مجلّة فصول , عد ٢-١ , مارس , ١٩٨٢ , ص١٤٤ .

ومن تلك المفارقات في الحجاج الحكائيّ الجاهليّ قول زهير بن أبي سلمى (١)

فتَعرُككُمُ عرْكَ الرَّحَى بثفالِها وتَلْقَحْ كِشَافاً ثمّ تُنْتِجِ فَتُتْئِـمِ
فَتنتجُ لكمْ غِلمانَ أَشْأَمَ كلُّهـم كأَحْمَرِ عادٍ ثمَّ تُرَضِعُ فَتَفطِمِ

يحاول الشاعر إقناع المتلقّي بتجنب الحرب بوصفها لا تجلب إلّا الشؤم والخراب من خلال توظيفه حكاية أحمر عاد عاقر الناقة , فيعمد إلى إحداث مفارقة من خلال ثنائية السلم والحرب والمقارنة بين ما تجرّه الحرب من ويلات و مصائب وبين ما يجلبه السلم من أمان وسلام , ورسمت المفارقة الدّورة الطبيعية للحياة في مقابل الحرب, فالفعل (ينتج) يدلّ على الاستمرار والتجدّد تجدّد الحرب واستمرارها وهو ما يؤكده الفعل (تلقح) الّذي يدلّ على إتمام فعل الإلقاح والإنجاب , ومن ثمَّ الإنتاج والرضاعة والفطام ثمّ الموت , ويمكن تلخيص تلك المفارقة من خلال الشكل الآتي :

فعل الإلقاح ≺ فعل الإنتاج ≺ فعل الرضاعة ≺ فعل الفِطام ≺
غلمان الشؤم ≺ الحرب ≺ الموت والهلاك .

إنّ فعل الإنتاج يستدعي الرضاعة والفطام والعناية والرعاية حتّى يصبح الغلام شاباً يافعاً , وتأتي المفارقة من ذهاب ذلك الجهد الّذي بُذِل في سبيل تنشئة هؤلاء الغلمان سدىً بالتهام الحرب لهم , ويأتي الحجاج الحكائيّ ليثبت أنّ الحرب ستستمر , وأنّها رمز الشؤم والخراب ويمكن للمتلقي في النهاية استخلاص النتيجة الآتية :

مقدمة أولى : استهلاك الحرب للغلمان وإبادتهم .
مقدمة ثانية : إنتاج غلمان شؤم كأحمر عاد.
النتيجة : الموت والهلاك .

(١) ابن أبي سلمى , زهير , الدّيوان , علي حسن فاعور , دار الكتب العلميّة , بيروت , لبنان , ط١ , ١٩٨٨ , صـ ١٠٧ , كشافاً : أن تلقح النعجة في السنة مرّتين , تتئم : تلد توأمين.

٢- القصدية :

للقصديّة أثرٌ مهمٌّ في بناء النّص الحجاجي الحكائيّ وتنسيق وحداته و ربط حججه , وهذا كلّه يتوقف على براعة الشاعر في توظيفه الحكاية حجاجيّاً وتمكّنه من أدواتها اللغويّة وغير اللغويّة , فالحجاج الحكائي في الشعر الجاهلي يبتعد عن كونهِ تواصلاً عادياً , أو مجرّد خبر , بل يعمل الشّاعر جاهداً على التأثير في المتلقي, فهو يقود الخطاب الحكائيّ منذ البداية وفي كل مرحلة من مراحله , فالمتلقي يمثل الهدف من الحجاج الحكائيّ بوصفه غائيّاً وموجّهاً غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله النّص من أفكار وما يعرضه من سرد حكائي وأحداث ليُحدث أثراً في المتلقّي ليس من حيث الأفكار فحسب , بل من حيث السلوك أيضاً .

((وتحقيق هذا التغيّر أو التبدّل في أفكار المتلقي ومواقفه يُعدّ علامة نجاح الخطاب الإقناعيّ و وجاهة الحجاج المعتمد أو هو النتيجة المتوقعة لخطاب ناجح و حجاج وجيه ناجع)) (١), ولا يقدر المتلقي على ممارسة فعل التأويل ما لم يكن على علم بمقاصد المتكلّم فالطبيعة القصديّة للحجاج في النّص تفسح المجال لبيان العلاقة بين المتكلم والمتلقي فهي تمثل الوسيلة لبيان قصد المتكلم وتحديد المعنى الحكائيّ والمغزى الّذي يريد إيصاله الشاعر إلى المتلقي, وكثيراً ما يلجأ الشاعر إلى ترك المجال مفتوحاً أمام المتلقّي فلا يصرّح بموقف ثابت صارم تجاه القضيّة التي يعرضها, ((إنَّ القول المجازي المبني أساساً على التخييل هو الذي يجمع بين معاني الأفكار والتصورات والمفاهيم ويحرّك مخيلة السامع ويسمو به من حقيقة الواقع إلى فضاء الخيال انطلاقاً من عمليات ذهنيّة تقوم على الفهم والتأويل, وهذه الوظيفة الّتي تحرّك خيال السّامع تعمل على استدراجه بشكل غير مباشر إلى حقل المتكلّم وتثير انتباهه لما يقوله وما يريد الوصول إليه, وبالتالي تدمجه في التفاعل الذي ينشده الحجاج)) (٢) , وتبرز القصدية واضحة في الحجاج الحكائي من خلال تقريب المعنى من ذهن المتلقي, فالشّاعر في توظيفه الحكاية لا يقدّم معنىً جديداً بقدر ما يعيد إنتاج معنى سابق , فهو يريد للحكاية ((أن تقرأ على نحو معيّن , وعلى أن لا يفهم منها غير ما يريد السّارد إفهامه للمتلقي)) (٣)

---

(١) الدّريدي , سامية , الحجاج في الشعر العربيّ بنيته وأساليبه , عالم الكتب الحديث , إربد , الأردن , ط٢ , ٢٠١١م , صـ ٣٥.

(٢) عشير , عبد السلام , عندما نتواصل نغيّر , مقاربة تداوليّة معرفية لآليات التواصل والحجاج , إفريقيا الشرق , المغرب , (د,ط) , ٢٠٠٦م, صـ١٢٣.

(٣) ابن رمضان , فرج , مكانة المعنى في الحكاية المثليّة , حوليات الجامعة التونسيّة , عد ٤٦ , يناير , ٢٠٠٢ م , ص ٢٠٣

وكثيراً ما يأتي القصد في الحجاج الحكائيّ مغلَفاً بأحداث الحكاية تلميحاً أو تصريحاً , وهذا يستدعي من المتلقي التفكير في الموعظة والعبرة من الحكاية الّتي أراد الشاعر إيصالها للمتلقي , ومن ذلك قول الأعشى (١)

ويَبْعثُ بيتُ المرءِ عن دارِ قومهِ ... فلنْ يـعلموا مُمْسَـاهُ إلّا تحسُّـبا
إلى معشرٍ لا يُعرفُ الودُّ بينهم ... ولا النّسـبُ المعروفُ إلّا تنسُّـبا
أراني لَدُن أن غاب قومـي كأنّما ... يراني فيهـم طالبُ الحقِّ أرنبـا
دعَا قومه حولي فجاؤوا لنصرهِ ... وناديـتُ قومـاً بالمسـنَّاةِ غُيّبـا
فأرْضَوهُ أن أعطَوهُ منّـي ظُلامـةً ... وما كنـت قلّاً قبـل ذلك أزيبـا
وربَّ بقيـعٍ لو هتفْت بحـوّهِ ... أتاني كريـمٌ ينفُضُ الرَّأس مغضَـبا
أرى رجلاً منكم أسـيفاً كأنّمـا ... يضمُّ إلى كَشْـحَيه كفّاً مخضّـبا
وما عنده مجدٌ تليـدٌ ولا لـه ... من الرّيح فضلٌ لا الجَنوب ولا الصّبا
وإنّي وما كلّفتمـونـي وربّـكم ... ليعلمَ من أمسـى أعقَّ وأحـربا
لكالثّورِ والجنّيّ يضربُ ظهـرَه ... وما ذنبُه إن عافَـتِ الماءَ مشربـا
وما ذنبُه إنْ عافَتِ الماء باقـرٌ ... وما إنْ تعاف المـاء إلا ليضربـا

يوظف الشاعر حكاية من الموروث الجاهلي , إذ تزعم العرب أنّ الجنّ كانت تصدّ الثيران عن الماء حتّى تمسك البقر عنه فتهلك , فطرد الثور هو بمنزلة طرد الأرواح الّتي حلّت فيه (٢).

ويأتي توظيف هذه الحكاية في سياق الاحتجاج على الظلم الّذي وقع على الشاعر وتابِعِهِ ,ظلم القوم لتابع الأعشى , ثمّ له وتنكر بني سعد لهما, فيدعو إلى القياس والمقارنة بين حال الشاعر وحال الثور الّذي يُعاقَب بلا ذنب ممّا يعزّز لخطاب الحجاجي ويجعله أكثر تأثيراً في المتلقّي , ويمكن التمييز بين القصدين الإخباري والتداولي على النحو الآتي :

القصد الإخباري : التذكير بخبر الثور والظلم الذي وقع عليه .

القصد التداولي : دفع تهمة السرقة عن الأعشى وتابعه وإثبات براءتهما.

(١) الأعشى , ميمون بن قيس, الدّيوان , محمد حسين , مكتبة الآداب بالجماهيزة , المطبعة النموذجيّة , القاهرة , د . ت , صـ ١١٥ , القلّ: القليل , الأزيب : اللئيم, الأسيف : الحزين والغضبان , الكشح : الجنب , تليد : قديم , أحرب : غضب , الأزيب : اللئيم .

(٢) ينظر :علي , جواد , المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام , جامعة بغداد , ط٢ , ١٩٩٣ م , ص ٨١٣

٣- القياس والتمثيل :

يحتلّ التمثيل في الحجاج الحكائيّ منزلة مهمة كونه وسيلة البرهنة الّتي يعتمدها الشاعر, فهو إلى جانب وظيفته الإفهاميّة يعتمد على وظيفة حجاجيّة إقناعية , إنّه تفعيل قائم على التشابهات أو العلاقات لشيء مع شيء آخر , لذلك تتجلّى قيمة النص في تماثل قائم بين البُنى , فالعلاقة بين العناصر لا تقتصر على علاقة التشابه بل هي تشابه علاقة أيضاً .

والتمثيل الحكائي طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة إذ لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة فحسب , وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة , وهو ما يمنحه قوة تفسيرية عالية .والقياس ممارسة استدلالية استكشافية للمعرفة تجعلنا ننتقل من حكم إلى آخر .

((وإذا كان القياس التداولي يربط بين موضوعين مقيس ومقيس عليه أو ظاهرتين أو فكرتين ينتميان إلى مجالين هما في التداول متباعدان , فإن ذلك الربط , يتمّ عن طريق علاقة القياس الّتي تتصف بالمغايرة لا بالمجانسة مما يجعلها تحافظ على وجوه الاختلاف بين الطرفين في العملية ذاتها وفي نفس الوقت تثبت وجوه مظاهر التشابه بينهما)) (١) ,وفي الحجاج الحكائيّ يستعين الشاعر بوسائل الاستدلال القائمة على قياس الشاهد على الغائب فيستحضر ((سياقاً تداولياً سابقاً ويتخيّر نموذجاً واقعياً ثم يقيس ما هو بسبيله من إثبات صحة أو تحقيق فرضيّة)) (٢) ,فالتمثيل الحكائي يميل إلى واقعة سابقة تشبه بشخصياتها وأحوالها وأحداثها الشخصيات والأحوال والحوادث الموجودة في زمن التمثيل والقياس , ما يحمل المتلقي على التفكير والاستدلال لاكتشاف ليس مواطن التشابه فحسب بل ومواطن الاختلاف أيضاً .

فالهدف من القياس ليس حمل الخبر ونقله , وإنّما حمل المتلقّي على الاستفادة من القياس لما يقدّمه العنصر الحكائي من قيم فكرية ترتبط بالموروث الجماعي , ذلك أن الحجاج ((خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة)) (٣) , ويحثّ على الإقناع والتأثير , ويجعل المتلقّي يتبنّى موقفاً من مقاصد المتكلّم .

---

(١) عشير , عبد السلام , عندما نتواصل نتغير , صـ ١٠٠ .

(٢) المرجع نفسه , صـ١٠٠.

(٣) عبد الرحمن , طه , في أصول الحوار وتجديد علم الكلام , المركز الثقافي العربي , بيروت , لبنان , ط٢, ٢٠٠٠ م , ص٦٦

ومن أمثلة القياس الحكائيّ في الحجاج قول عبيد بن الأبرص (١)

بَرِمَتْ بَنو أسدٍ كمـا برمت ببيضتها الحمامهْ
جَعَلت لها عودين من نَشمٍ وآخر من ثُمامــهْ
إمّا تَرَكتَ تركت عف واً أو قتلتَ فلا ملامــهْ
أنت المليكُ عليهُـم وهم العبيدُ إلى القيامـهْ
ذَلّوا لِسوطك مِثلَ ما ذَلَّ الأُشيقرُ ذو الخِزامـهْ

سيقَ الشّاعر أسيراً مع بعض أفراد قومه على يد الملك حُجر الّذي سار إلى بني أسد بعد أن تعرّضوا إلى رسله بالضّرب, فنكّلَ بهم , وأخذ يضربهم بالعصا حتّى سمّوا بعبيد العصا , فقال هذه الأبيات متعطفاً متأسفاً لما وصلت إليه حال بني أسد فيقيس حالة قومه بحال الحمامة التي تبني عشّها من جهة هبوب الريح بلا إحكام ولا تدبير فتكون النتيجة خسارة البيض وتهدّم العشّ, كذلك هي حال بني أسد فهم لم يحصّنوا أمرهم ولم يستعدّوا استعداداً جيّداً للحرب فكانت النتيجة الخسارة والذلّ وخضوعهم خضوعاً تامّاً للملك .

فخرق وحماقة بني أسد يقابلها خرق وحماقة الحمامة الّتي لا تحصن بيتها ومن شأن القياس الحكائيّ هنا إبراز أوجه التشابه بين الحالة الّتي وصل إليها بنو أسد من الخرق والحماقة وعدم التدبير , وبين الحمامة الّتي تتصف بالخرق ولا تقدر على حماية بيضها , كما هي حال بني أسد , فيعمد الشّاعر إلى توظيف هذه الحكاية العميقة بالإيحاءات على سبيل المقارنة والتشبيه بغية التأثير في قرار الملك واستعطافه.

---

(١) ابن الأبرص,عبيد , الدّيوان , شرح أحمد أشرف عدرة , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ١٩٩٤, ص١٠٩ النشم : شجر تتخذ منه القيس, الأشيقر : تصغير الأشقر وهو الفرس , الخزامة : حلقة يشد بها الزّمام , الأشيقر : تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدّواب , الخزامه : حلقة في أنف البعير يشد فيها الزّمام .

٤ – المصداقية:

ما يميّز الحجاج الحكائيّ هو استدعاؤه للمشترك الإنساني والثقافي الجاهليّ , بوصفه الذاكرة الجماعيّة الّتي يختزلها الشاعر والمتلقّي في ذهنيهما ويمارسانها سلوكاً وفكراً , وهو ما يعمد الشاعر إلى توظيفه حجاجيّاً لإقناع المتلقّي و إثارة مشاعر الرهبة, والعظمة لديه, واستخلاص التجارب, فالحجج تستمد مصداقيتها من واقعيتها , إذ أنّ الواقعية ((عقيدة تقترح معرفة دقيقة وموضوعيّة بالواقع كخاتمة للنشاط الأدبي)) (١) .

وهذه الحجج خلاصة تجربة إنسانية مكرّرة تكون لها غاية استشهاديّة احتجاجيّة تنحو في صياغتها ومضمونها منحىً أخلاقياً وعظيماً يرمي إلى الإرشاد والتقويم واستخلاص التجارب , ولا يحتاج الشاعر إلى جهد كبير من التأثير النفسي في المتلقي , ((فالشاعر يحتجّ إلى رأي أو فكرة استناداً إلى جملة من المعارف المشتركة الراسخة في الذّاكرة الجماعيّة القائمة في الضمائر يوظّف سلطتها ويستغل انتشارها وتواترها ويستعير فتنتها وسحرها ليقنع ويفحم , فنراه يبني الكلام على مبادئ عامة تشترك فيها الإنسانية , وتقرّها, وتتخذها مقدمات تبني عليها أقيستها , كما تستدعي المشترك الخاص المتصل بالثقافة العربيّة والخيال العربي المؤسس للكون المسخّر لعلاقاته)) (٢) فيستدعي القصص لغاية الاستدلال والإقناع .

ومن ذلك قول الحارث بن حلّزه (٣)

إرميٌّ بمثله جالـتِ الجـنُّ فآبتْ لِخصمها الأَجْلاءُ
مَلكٌ مُقسطٌ وأفضلُ من يمشي ومَن دونِ ما لديهِ الثَّناءُ

الشاعر يمدح عمرو بن هند , فيضعه في أرفع مقام ويجعل نسبه إلى إرم بن عاد , وهو نسب قديم الشرف موظّفاً شخصية تاريخيّة أسطوريّة, ليضفي مصداقية و واقعية على نسبه , فالملك سيد كريم من سادة القوم وأشرافهم واسمه راسخ في الذاكرة العربيّة , ذلك أن نسبه يعود إلى إرم عاد الذي اشتُهر بالقوّة والعزّ إلى جانب النسب الرفيع الذي ينتهي إلى سام بن نوح , وهذا من شأنه إثارة خيال المتلقي والتأثير في فكره ونفسه ؛ فالمتلقي لا يشك أبداً في مصداقية هذا النسب الّذي نسبه الشاعر للملك كونه استند إلى حجّة تاريخيّة هي شخصية إرم وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام .

---

(١) علوش , سعيد , معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة , صـ٢٣٣.

(٢) الدّريدي , سامية , الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه , صـ ٣٠٨ – ٣٠٩.

(٣) ابن حلزة, الحارث , الدّيوان , إميل بديع يعقوب , دار الكتاب العربي ,بيروت , ط١, ١٩٩١ , صـ٢٦ , إرميّ : نسبة إلى إرم عاد , جالت : كاشفت , الجنّ : دهاة الناس .

نتائج البحث :

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن إيجازها على النحو التالي :

- أسهمت المفارقة في إثارة خيال المتلقي وتوسيع مداركه بما أثارته من جده وإدهاش بتجاوز الواقعي والخروج من الموقف .
- كان للقصديّة أثراً هام في بناء النّص الحجاجيّ , وتنسيق وحداته وربط حججهِ , وهذا كلّه كان متوقفاً على براعة الشّاعر في توظيفه الحكاية وتمكنه من أدواتها .
- ارتبط تأويل الحكاية بمقاصد المتكلّم الحجاجيّة , فالمتلقي لا يستطيع ممارسة فعل التأويل ما لم يكن ملمّاً بمقاصد الشاعر .
- إنّ استعانة الشاعر بوسائل الاستدلال,حثّ المتلقي على التفكير والتأويل لاكتشاف مواطن الشبه والاختلاف بين الواقعي والحكائي , مما ساعد المتلقي على الفهم والتأويل .
- إنّ للتمثيل في الحجاج الحكائي قيمة معرفيّة , ومنطقيّة وتعليميّة كون الحكاية منبثقة من التراث وتتكرّر باستمرار .

- المصادر والمراجع:

١- ابن الأبرص , عبيد , الدّيوان , *شرح أشرف أحمد عدرة* , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ١٩٩٤م

٢- ابن أبي سلمى , زهير , *الدّيوان علي حسن فاعور* , دار الكتب العلميّة , بيروت , لبنان , ط١ , ١٩٨٨ م

٣- الأعشى ميمون بن قيس , الدّيوان ,محمد حسين مكتبة الآداب بالجماهيزة ,المطبعة النموذجية , القاهرة , د . ت.

٤- ابراهيم , نبيلة , المفارقة , مجلة فصول , م٧ , عدد ٣- ٤ , ١ سبتمبر , ١٩٨٧م.

٥- ابن حلزة , الحارث, الدّيوان , *إميل بديع يعقوب* , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ١٩٩١ م.

٦- ابن رمضان , فرج ,*مكانة المعنى في الحكاية المثلية* ,حوليات الجامعة التونسية ,عد٤٦ ,يناير , ٢٠٠٢ م

٧- الدّريدي , سامية , *الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه* , علم الكتب الحديث , إربد , الأردن , ط٢, ٢٠١١ م .

٨- عبد الرحمن ,طه , *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*,المركز الثقافي العربي , بيروت , لبنان ,ط٢, ٢٠٠٠م .

٩- عشير , عبد السلام , *عندما نتواصل نتغيّر* , مقاربة تداولية معرفيّة لآليات التواصل والحجاج , إفريقيا الشرق , المغرب , المغرب, د . ط و ٢٠٠٦ م.

١٠- علوش , سعيد , *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة* , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ط١ , ١٩٨٥م .

١١- *علي , جواد ,المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ,جامعة بغداد ,ط٢ ,١٩٩٣م*

١٢-*قاسم ,سيزا,القصّ العربي المعاصر ,مجلة فصول*, عد ٢-١ مارس , ١٩٨٢.